الفصل الثاني

ويشتمل على :

١- غزوة الأحزاب – الخندق

٢- غزوة بني قريظة

٣- غزوة بني المصطلق

٤- حديث الإفك

٥- صلح الحديبية

غزوة الأحزاب – الخندق

في السنة الخامسة للهجرة – ٦٢٧م

لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير ساروا إلى خيبر فخرج نفر من أشرافهم ووجوههم إلى مكة فنزلوا على قريش وحزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله وعاهدوهم على قتاله ثم خرجوا من عندهم فأتوا غطفان وسليما ففارقوهم على مثل ذلك وتجهزت قريش وجمعوا أحابيشهم ومن تبعهم من العرب فكانوا أربعة آلاف وتجمعت الجموع من القبائل التي تحالفت مع قريش على قتال النبي وكونوا عشرة آلاف مقاتل وبدأوا يستعدون للزحف على المسلمين في المدينة المنورة .

فلما بلغ رسول الله ﷺ الخبر ندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في أمرهم فأشار عليه سليمان الفارسي بالخندق فأعجب ذلك المسلمين وعسكر بهم رسول الله ﷺ إلى سفح سلع وجعل سلعاً خلف ظهره وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ثم خندق على المدينة .[١٠٥]

حفر الخندق

فحص الرسول ﷺ الأرض المحيطة بالمدينة فوجد أن الجبال والصخور الوعرة تحيط بها من ثلاثة جوانب من الشرق والجنوب

---

[١٠٥] السيرة النبوية من الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٦٦

والغرب..وأن الطريق الوحيد الذي يمكن أن يهجم منه جيش القبائل هو من الشمال فتقرر حفر الخندق ليسد هذا الطريق الشمالي وبدأ العمل في حفر الخندق وكان عملاً شاقاً مرهقاً الأرض صلبة والوقت ضيق والبرد شديد والطعام قليل حتى إنهم يقضون اليوم واليومين والثلاثة أيام من غير طعام ولكنهم كانوا يعملون صابرين وهم يحمدون الله على نعمة الإسلام،ويعرفون أن الله يمتحن عباده ليعطيهم الجزاء على قدر الصبر والمشقة وكان رسول الله ﷺ يحث أصحابه على العمل ويقول:

اللهم إن العيش عيش الآخرة ۞ فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكان الصحابة يردون عليه

نحن الذين بايعوا محمدا ۞ على الجهاد ما بقينا أبدا[١٠٦]

عن البراء بن عازب قال رأيت رسول الله ﷺ ينقل من تراب حتى وارى عنه الغبار جلد بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحه وهو ينقل التراب ويقول.

---

(١٠٦) صحيح البخاري باب غزوة الخندق ج٢ ص٥٨٨

اللهم لــولا أنــت مــا اهتدينــا ✿ ولا تصدقنــا ولا صلينـــا

فـــأنزلن ســـكينة علينـــا ✿ وثبــت الأقــدم إن لاقينــا

إن الأولــى قــد بغــوا علينـــا ✿ وإن أرادوا فتنــة أبينـــا

قال البراء وكان يمد صوته بآخرها أبينا ...أبينا[١٠٧]

إن المتأمل في حديث البراء يجد أن الرسول ﷺ كان يعمـــل مــع أصحابه ويحمل التراب مثلهم كأي واحد منهم لأن الإســـلام ديــن العدل والمساواة والعمل وأخلاق الرسول ﷺ كانت دائماً هي أخلاق الإسلام فلم يتركهم الرسول يعملون ويقف متريسا عليهم لكنه كـــان يحثهم ويشجعهم على العمل بوضع يده معهم في العمل حتـــى إنـــه كان يشكو مما يشكون منه ففي يوم جاءه أحد المسلمين يشكو إليـــه الجوع ورفع ثوبه فظهر حجر ربطه المسلم على بطنه مـــن شـــدة الجوع فرفع الرسول ﷺ ثوبه فظهر هو قد ربط على بطنه حجريـن وظل الكفاح في العمل قائم والمعجزات لرسول الله تظهر فلقد أخبر سلمان الفارسي رسول الله ﷺ أن صخرة هائلة صلبة لم يســتطع أن يكسرها فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان وقال بســـم الله ثـــم ضرب فكسر ثلثها ولمع من أثر الضربة برق فقال رســـول الله ﷺ -الله أكبر-أعطيت مفاتيح الشام..والله إني لأبصر قصورها الحمـــر

---

[١٠٧] الرحيق المختوم ص ٣٠٤

إن شاء الله،ثم ضرب ثانية فكسر ثلثا آخر ولمع من أثر الضربة برق فقال –الله أكبر–أعطيت مفاتيح اليمن.والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا.

وهنا قال المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن سلول ألا تعجبون؟يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق من الخوف لا تستطيعون أن تبرزوا فأنزل الله تعالى قوله:﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً(١٢)**﴾[١٠٨]

وانسحب المنافقون من صفوف المسلمين وهم يقولون إن بيوتنا عورة نخاف أن يغير عليها العدو فرد الله عليهم وقال وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا.

لقد انسحب المنافقون من بين صفوف المسلمين ولا يعلمون أن كل كلمة يقولها الرسول ﷺ صادقة وأن ما رآه حقا وسوف يظهر لهم ذلك عما قريب ويا للعجب ألم ينظروا إلى البركة التي حلت على طعام جابر عندما وضع النبي ﷺ يده عليه فكفى الجيش كله وشبع به عدد كبير ولم يكن طعاما كثيرا وإنما كان صاعا من شعير وبهيمة صغيرة لكن بركة النبي ﷺ حلت فيه حتى شبع الناس وبقى

---

[١٠٨] سورة الأحزاب الآية رقم ١٢

الطعام كما كان فقال الرسول ﷺ لجابر أهدى الناس من الطعام فإن الناس أصابتهم مجاعة.

الحصـــــار:

جاءت قريش والأحزاب والقبائل من بنـــي كنانـــة وأهـــل تهامـــة وغطفان وأهل نجد وغيرهم جاءوا بجيشهم الكبير الهائل ليـــهاجموا المسلمين في المدينة فوجدوا الخندق فدهشوا ولم يكن لهم سابق عهد بمثل هذا الأمر فأقاموا خارج المدينة يحاصرونها وأقام الرسول ﷺ بجيشه إلى جوار جبل من جبال المدينة وبينـــه وبيـــن المشـــركين الخندق.

وأمر بأن توضع نساء المسلمين وأطفالهم فـــي الحصـــون وطـــال الحصار وساءت حال أهل المدينة وكانت تقيـــم فـــي الضواحـــي الجنوبية للمدينة المنورة أعدادا كبيرة من اليهود من بنـــي قريظـــة عندهم من المقاتلين نحو ٧٠٠ رجل وكان بين المسلمين وبين يـهود بني قريظة عهد وميثاق فنقض هؤلاء اليهود العهد وانضموا إلـــى جيش الأحزاب وأصبحوا يهددون المدينة من الجنـــوب..مـــن وراء ظهر المسلمين فزادت الحالة سوءا وطال الحصار وأصاب النـــاس بلاء شديد وكشف المنافقون الذين في المدينة وسط المسلمين عـــن وجوههم وظهروا على حقيقتهم وأســـاءوا إلـــى المســـلمين كثـــيرا واستمر الحصار نحو شهر وأقام رسول الله ﷺ وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش استطاعوا أن يمـــروا

من مكان ضيق من الخندق كان منهم الفارس المشهور عمرو بن عبد ود الذي كان يقوم بألف فارس فلما وقف قال من يبارزني؟ فبرز على بن أبي طالب رضى الله عنه .فقال يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه قال أجل قال له على فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى النزال فقال له لم يا ابن أخي؟ فو الله ما أحب أن أقتلك قال له على رضى الله عنه لكني والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي رضى الله عنه فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضى الله عنه وكان من فوارسهم نوفل بن مغيرة وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة[١٠٩]

عناية الله ونصرته لعباده المؤمنين

لقد ظهرت عناية الله ورعايته للمؤمنين فلقد جاء نعيم بن مسعود الأشجعي وهو صديق بني قريظة وغطفان وقريش فقال يا رسول الله إني أسلمت وقومي لا يعلمون فمرني بأمرك حتىأساعدك فقال الرسول ﷺ أنت رجل واحد وماذا عسى أن تفعل؟ لكن خذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة.

---

[١٠٩] سيرة ابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢، ٢٠٣

ذهب نعيم إلى يهود بني قريظة وكتم إسلامه وبدأ يفكر في خطـــة فقال ليهود بني قريظة لقد نقضتم عهدكم مع محمد وانضممتم إلـــى قريش ولكنكم لستم مثل قريش فهم يحاربون محمدا ثم يعودون إلـــى مكة وتظلون في المدينة مع المسلمين سيغلبونكم ولم تقدروا عليـــهم فقالوا وما رأيك يا نعيم ؟

قال لا تقاتلوا مع قريش إلا بعد أن تأخذوا منهم رهائن من أشـرافهم يكونون تحت أيديكم حتى تضمنوا أن جيـــش قريـــش لـــن يرجـــع ويترككم وحدكم أمام محمد ورجاله فقال يهود بني قريظة نعم هـــذا الرأي،وترك نعيم يهود بني قريظة وذهب إلى قريش وحلفائها فقـــال لهم خذوا حذركم من يهود بني قريظة فإني علمت أنهم قد ندموا بعد أن انضموا إليكم ونقضوا عهدهم مع محمد فأرسلوا إليه يعرضـــون صداقتهم وقالوا له لكي تتأكد من صدق كلامنا هل يرضيك أن نقـدم لك مجموعة من أشراف قريش فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على حربهم حتى نقضي عليهم ؟ فوافق محمد على هذا .فإذا أرسل إليكم اليهود يطلبون رهائن من رجالكم فلا تعطوهم فشكرته قريش علـــى ما قدم لهم من نصائح فأرسلت قريش إلى يهود بني قريظة فطلبـــوا منهم الرهائن فرفضوا أن يعطوهم وقالوا إذاً كلام نعيم صـــدق ودب الخلاف بينهم فلم يتفقوا على قتال.

بهذا وقف نعيم أمام جيش بأجمعه منعهم من الهجوم على المســـلمين وهذا هو نصر الله وتأييده وعنايته بالمسلمين هكذا اضطر الأعـــداء

إلى الرحيل وساد الرعب قلوبهم وبلغ الخوف إلى حد أن رئيسهم كان يقول لجيشه ليتعرف كل منكم أخاه وليمسك بيده حذرا من أن يدخل عدو.

ووضعت الحرب أوزارها فلم ترجع قريش بعدها إلى حرب المسلمين وقال رسول الله ﷺ "لن يغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم"[١١٠]

شهداء المسلمين في غزوة الخندق:

لقد استشهد في هذه الغزوة من المسلمين ستة وقتل من المشركين أربعة فأما شهداء المسلمين فهم :

١- **سعد بن معاذ**
٢- **أنس بن أوس بن عتيق من بني عبد الأشهل**
٣- **عبد الله بن سهيل الأشهلي**
٤- **ثعلبة بن غنمة بن عدي**
٥- **كعب بن زيد من بني دينار**
٦- **الطفيل بن النعمان**

---

[١١٠] السيرة النبوية – للندوي صـ ٢٥٦

وأما عن قتلي المشركين فهم:

١- منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار

٢- نوفل بن عبد الله بن المغيرة

٣- عمرو بن عبد ود العامري

٤- حسل بن عمرو بن عبد ود العامري

دروس وعبر من غزوة الأحزاب الخندق

يستطيع المسلم أن يتعلم من غزوة الخندق – الأحزاب ما يلي :

١-إن اليهود لا عهد لهم ولا ذمة وهم أصحاب خيانة ومكر وخداع فلا يأمن المسلم لهم وعليه أن يكون على حـــذر وحيطـــة عندمـــا يتعامل معهم .

٢-إن المسلم لابد وأن يشاور أصحابه في الأمور ويتبـــادل معـــهم الآراء وهذا ما وجدناه في الرسول الكريم ﷺ من حرص شديد على تبادل الرأي والمشورة مع أصحابه في المواقف العصيبة ولنا فـــي رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة .

٣-أن يثق المسلم في قدرة الله عز وجل وتأييده ونصـــره لعبـــاده المؤمنين لذا يجب على المسلم أن يصبر على مقاومة العدو حتـــى آخر قطرة في حياته وهذا ما لمسناه في المسلمين في غزوة الخندق من إصرار على المقاومة لأنهم يثقون في قدرة الله ونصره وتأييده لهم .

٤-يجب على القائد الذي ولى أمر المسلمين أن لا يصدر القـوارات فقط ولكن عليه أن يشاركهم في تنفيذ هذه القرارات التي أصدرهـــا فلقد كان ﷺ يعمل بيده في حفر الخندق كما ذكرنا آنفا ولـــم يـــترك المسلمين وحدهم يعملون.

٥-أن يستخدم المسلم في الحرب السياسة والحرب النفسية لأنها سلاح فعال في حسم المعارك وهذا ما استخدمه ﷺ حين جاءه " نعيم بن مسعود الغطفاني "معلنا إسلامه خفية .مبديا استعداده لتنفيذ ما يشير به الرسول ﷺ فقال له الرسول " **إنما أنت رجل واحد .فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة** " .

٦-أن يحرص المسلم على الإبتكارات التي تخدم الإسلام والمسلمين فإن الابتكارات تفيد في الحرب وتكون مفاجئة للعدو كما حفر المسلمون الخندق في هذه الغزوة فكانت مفاجئة للعدو لأن العرب لم يعرفوا مثل هذا الأسلوب من قبل .

غزوة بني قريظـــة

في السنة الخامسة للهجرة -٦٢٧ م

عن عائشة رضى الله عنها لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضـــع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال قد وضعـــت الســـلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم قال فإلى أين ؟ قال ها هنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ إليهم[١١١]

فأمر رسول الله مؤذنا فأذن في الناس من كان سامعا فـــلا يصليـــن العصر إلا في بني قريظة واستعمل ابن أم مكتـــوم علـــى المدينـــة وأعطى الراية علي بن أبي طالب وخرج الرسول ﷺ في موكبه مـــن المهاجرين والأنصار حتى نزل على بئر من آبار قريظة يقال لـــــه بئر أنا (وبادر المسلمون إلى امتثال أمره وتحركوا نحـــو قريظـــة وأدركتهم صلاة العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصليها إلا فـــي بني قريظة كما أمرنا حتى أن رجالا منهم صلوا العصر بعد العشاء الآخرة وقال بعضهم لم يرد منا ذلك وإنما أراد ســـرعة الخـــروج فصلوها في الطريق فلم يعنف واحدة من الطائفتين)[١١٢]

ولا شك أن سبب هذه الغزوة هو نقض اليهود عهدهم مع رسول الله ﷺ ومعاونتهم الأحزاب على قتاله .

---

[١١١] رواه البخاري ج٧ ص٤٧٠ المغازي

[١١٢] الرحيق المختوم ص ٣١٤

حصار بني قريظة

حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة شهرا أو خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد عليهم الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن تبعث إلينا أبا لبابة بن المنذر وهو أنصاري من الأوس نستشيره فأرسله فلما رأوه قام إليه الرجال وبكى النساء والصبيان فرق إليهم فقالوا أتنزل على حكم رسول الله قال نعم وأشار إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله وقلت والله لا أقمت في مكان عصيت الله فيه وانطلق على وجهه حتى ارتبط في المسجد وقال لا أبرح حتى يتوب الله علي فتاب الله عليه ونزل قوله تعالى :﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**(٢٧)﴾ [١١٣]

وأطلقه رسول الله بعد أن تاب ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فقال الأوس يا رسول الله افعل في مواليا مثل ما فعلت في موالي الخزرج يعني بني قينقاع فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم سعد بن معاذ ؟قالوا بلى فأتاه قومه فاحتملوه على حمار ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فلما كثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فعلم كثير منهم أنه يقتلهم فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ قال قوموا لسيدكم فقاموا إليه وأنزلوه وقالوا يا أبا عمرو أحسن إلى مواليك فقد رد

---

[١١٣] سورة الأنفال الآية رقم ٢٧ .

رسول الله ﷺ الحكم فيهم إليك فقال سعد عليكم عهد الله وميثاقه إنَّ الحكم فيهم إليَّ. قالوا نعم. فالتفت إلى الناحية الأخرى التي فيها النبي ﷺ وغض بصره عن رسول الله إجلالا وقال وعلي من ها هنا العهد أيضا قالوا نعم وقال رسول الله نعم قال فإني أحكم أنَّ تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والنساء وتقسم الأموال فقال رسول الله ﷺ لقد حكمت فيهم بحكم الله ثم استنزلوا فحبسوا في دار بنت الحرث ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة فخندق ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم فيها وفيهم حيي بن أحطب وكعب بن أسد وكانوا ستمائة أو سبعمائة وقيل ما بين سبعمائة وثمانمائة وأتى بحيي بن أحطب وهو مكتوف فلما رأى رسول الله ﷺ قال والله ما لمت نفسي في عدواتك ولكن من يخذل الله ثم قال للناس إنه لا بأس بأمر الله[١١٤]

تقسيم أموال بني قريظة

قسم رسول الله ﷺ أموالهم فكان للفارس ثلاثة أسهم وللفرس سهمان ولفارسه سهم،وللراجل ممن ليس له سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وأخرج منها الخمس وكان أول فيئ وقع فيه السهمان والخمس.واصطفى رسول الله ﷺ ريحانة بنت عمرو بن خناقة من بني قريظة فأراد أن يتزوجها فقالت اتركني في ملكك فهو أخف علي وعليك فكانت عنده حتى توفى عنها وهي في ملكه هذا ما قاله

---

[١١٤] الكامل في التاريخ ابن الأثير ج٢ ص ١٢٨

ابن إسحاق وقال الكلبي أنه ﷺ أعتقها وتزوجها سنة ٦هـ ومـــاتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها في البقيع.[١١٥]

ولما تم أمر بني قريظة أجيبت دعوة العبد الصالح سعد بـــن معـــاذ رضي الله عنه وكان النبي قد ضرب له خيمة في المسجد ليعود من قريب فلما تم أمر قريظة انتفضت جراحته قالت عائشة فـــانفجرت من لبته فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غفار إلا والدم يســيل إليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا يأتينا من قبلكم فإذا ســـعد يغـــذوا جرحه دما فمات منها.[١١٦]

واهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ وقالت الســـيدة عائشـــة رضى الله عنها سمعت بكاء أبي بكر وعمر وأنا في حجرتي وأمـــا النبي فكان لا يبكي على أحد كان إذا اشتد وجده أخذ بلحيته وكـــان فتح قريظة في ذي القعدة سنة خمس وبداية ست من الهجرة [١١٧]

---

[١١٥] الرحيق المختوم ص ٣١٧

[١١٦] صحيح البخاري ج ٢ ص ٥٩١

[١١٧] الكامل ج٢ ص ١٢٨

دروس وعبر من غزوة بني قريظة :

١-إن اليهود هم أعداء الله ودائما يكنون للإسلام وأهله الحقد والكراهية ويحاولون بقدر المستطاع نكث العهود والتخلي عن المسلمين إذا كان بينهم عهود ومواثيق وأقوى دليل على ذلك يهود بني قريظة فقد نكثوا العهد وتخلوا عن الرسول ﷺ في محنته وتآمروا للقضاء على دعوته لذلك بادر الرسول ﷺ بتأديبهم . فلما حاصرهم النبي استسلموا ولم يتمكنوا من المقاومة .فعلى المسلمين اليوم أن لا يأمنوا لليهود لأنهم أعداء الله ورسوله وأعداء للدين الإسلامي قال الله تعالى﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ(٨٢)**﴾[١١٨]

٢- إن نهاية الغدر قاسية فالله سبحانه وتعالى يمهد الطريق للغادر ويطيل الحبل له فإذا أخذه أخذه أخذ عزيز مقتدر لذلك يجب علينا نحن المسلمين أن نعاقب كل غادر ومتآمر على الدين الإسلامي وأهله ونكبت حقد كل غادر ومتآمر وذلك لا يكون إلا بالترابط والتعاون والتماسك مع بعضنا البعض.

٣- يجب على الإنسان المسلم أن يحكم بالعدل مهما كانت الظروف والأحوال ولا تأخذه فى الله لومة لائم حتى ولو على أهله و هذا ما

---

[١١٨] سورة المائدة الآية رقم ٨٢

غرسه النبى الكريم فى نفوس المسلمين فهذا سعد بن معاذ رضى الله عنه الذى شرفه الرسول الكريم بالقضاء فى أمر بنى قريظة لذا حكم عليهم الحكم الصائب قتل الرجال وسبى النساء وتوزيع الاموال .فكان هذا الحكم كما قال رسول الله ﷺ "حكمت فيهم حكم الله " .

٤- أن يداوم المسلم فى الدعاء و الإبتهال واللجوء إلى الله عزوجل ولا يقنط من الدعاء وليعلم علم اليقين أن الله يستجيب له الدعاء كما استجاب للعبد الصالح سعد بن معاذ رضى الله عنه عندما خرج فى غزوة الخندق دعا ربه أن يحييه حتى يشهد نهايتهم فاستجاب الله لدعوته و بقى حتى أكرمه الله و مكنه من عدوه وشرفه الرسول ﷺ بالقضاء فى أمرهم . كما أن على الداعي أن لا يتعجل في قبول الإجابة لأن الدعاء إما أن يعجل الله لك بالقبول في الدنيا وإما أن يكون لك نصيبه في الآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ففي علم الله لو عجل لك القبول لفسد حالك ولو آخره لصلح حالك وكذا العكس إذاً علينا أن نبتهل إلى الله دائماً بالدعاء في كل أحوالنا في الشدة والرخاء معاً .

غزوة بنى المصطلق

فى السنة السادسة للهجرة ٦٢٧م

بلغ الرسول ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له فلما سمع ذلك خرج إليهم و قد خرج معه أكبر عدد من المنافقين لم يخرجوا قط فى غزوة قبلها يرجون أن يصيبوا من عرض الدنيا و فى أثناء مسيرته عليه الصلاة و السلام إلتقى بعين بنى المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله .

و لما بلغ الحارث رئيس الجيش مجيئ المسلمين لحربه و أنهم قتلوا جاسوسه خاف هو و جيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضهم[١١٩]

والتقى رسول الله ﷺ بجيش بنى المصطلق بماء لهم يقال له المريسيع بناحية قديد فاقتتلوا وانهزم المشركون وقتل من قتل منهم و أصيب رجل من المسلمين من بنى ليث من بكر اسمه هشام بن صبابة أخو مقيس بن صبابة أصابه رجل من الأنصار بسهم من رهط عبادة بن الصامت و هو يرى انه من العدو فقتله خطأ وأصاب الرسول ﷺ سبايا كثيرة فقسمها فى المسلمين و فيهم جويرة بنت الحرث بن أبى ضرار فاختارها النبى ﷺ لنفسه و تزوجها .

---

[١١٩] نور اليقين ص ١٤٣ بتصرف يسير

فقالوا أصهار رسول الله فأعتقوا أكثر من مائة بيت من أهل بنـــى المصطلق فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها[١١٩]

واقتتل أجير لعمر بن الخطاب من بنى غفار وحليف للخزرج مـــن جهينة فصرخ الجهني " يا معشر الأنصار" و صرخ الأجـــير " يـــا معشر المهاجرين " فغضب عبد الله بن أبى سلول وعنده رهط مـــن قومه فيهم فقال أوقد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنـــا والله ليس الامر إلا كما قيل " سمن كلبك يأكلك " أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم اقبل على من حضره مـــن قومه فقال لهم هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاســـمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولـــوا إلـــى غـــير داركم.

فلما سمع ذلك رسول الله ﷺ أمر بالرحيل لئلا ينشغل الناس بـــهذه الفتنة و يجد الشيطان سبيلاً إلى نفوسهم وذلك فى ساعة لـــم يكـــن رسول الله ﷺ يرتحل فيها فارتحل الناس .

و إن المتأمل فى موقف الرسول ﷺ يجد الحكمة البالغة و التصرف الفطن فلولا هذا التصرف وهذه الحكمة من رسول الله ﷺ لحـــدث بين المسلمين التفرق والشتات .

---

[١١٩] الكامل لابن الأثيرج ٢ ص١٣١ بتصرف

ومشى رسول الله ﷺ و الناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح و صدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبسوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما .

وقدم عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الناس حتى وقف لأبيه على الطريق فلما أناخ به قال لا أفارقك حتى تزعم أنك الذليل ومحمد العزيز فمر به رسول الله ﷺ فقال دعه فلعمره لنحسنّ صحبته ما دام بين أظهرنا [١٢٠]

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى " لقد كان ما سمعه ﷺ من كلام ابن سلول مسوغا كافياً لأن يأمر بقتله بحسب الظاهر لكنه ﷺ استقبل الأمر بصدر أرحب من ذلك وسمع من اللفظ الذي جرى والتناوش الذي وقع والجيش فيه عدد كبير من المنافقين الذين يبحثون عن شيء مثل هذا ليقوموا ويقعدوا به فلم يعالج الأمر بعاطفة متأثرة وإنما ترك الحكمة وحدها هي التي تدبر فكان أن أمر القوم بالمسير في وقت لم يكونوا يعتادونه حتى يشغلهم السير عن الاجتماع على المحادثة والكلام وظل يسير بهم بقية اليوم والليل كله وصدرا من اليوم الثاني لا يدع لهم مجالا يفرغ فيه المنافقون فيما يريدون من باطل فلما انحطوا بعد ذلك على الأرض لم يدع لهم التعب فرصة الحديث عن شيء وذهب الجميع في سبات عميق وانتظر الناس أن يجدوا من الرسول ﷺ إذا وصل إلى المدينة شدة

---

[١٢٠] السيرة النبوية للندوي ص ٢٥٩ نقلا عن طبقات بن سعد

على المنافقين لا ريب أنها تتجلى في قتل عبد الله ابن سلول فلذلك جاء له ابنه عبد الله رضى الله عنه يعرض على الرسول ﷺ أن يتولى هو قتل أبيه إذا كان يريد أن يحكم بذلك ولكنه فوجئ بالرسول ﷺ بما لم يكن متوقعا حينما قال بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا ولقد كان من نتيجة هذه الحكمة أن انحصر عن عبد الله ابن أبي قومه فكانوا هم الذين يعنفونه ويفضحون أمره إذا ما أراد أن يحدث شيئا[١٢١]

وكانت هذه الغزوة في شعبان سنة ست من الهجرة على أصح الأقوال.[١٢٢]

٤ـ حديث الإفك

عندما خرج النبي ﷺ إلى غزوة بني المصطلق كانت السيدة عائشة رضى الله عنها ممن خرج سهمها مع رسول الله ﷺ فخرجت لتؤدي واجبها وفي هذه الغزوة امتحنت بمحنة من أشد وأقصى المحن ولكن الله سبحانه وتعالى أدركها بعنايته وخرجت من هذه المحنة بشهادة ربانية مباركة تتلى إلى يوم الدين في القرآن الكريم وملخص هذه الحادثة أن النبي ﷺ لما رجع من هذه الغزوة نزل في بعض المنازل فخرجت عائشة رضى الله عنها لحاجتها ففقدت عقدا

---

[١٢١] فقد السرة للبوطي ص ٣٠٧

[١٢٢] الرحيق المختوم ص٣٢٥

لأختها كانت أعارتها إياه فخرجت تلتمسه في الموضع الذي فقدته فيه في وقتها فجاء النفر الذين كانوا يرحلون هودجها فظنوها فيه فحملوا الهودج ولا ينكرون خفته لأنها رضى الله عنها كانت فتية السن لم يغشها اللحم الذي كان يثقلها وأيضا فإن النفر لما تساعدوا على حمل الهودج لم ينكروا خفته ولو كان الذي حمله واحدا أو اثنين لم يخف عليهما الحال فرجعت عائشة رضى الله عنها إلى منازلهم وقد أصابت العقد فإذا ليس به داع ولا مجيب فقعدت في المنزل وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون في طلبها والله غالب على أمره يدبر الأمر فوق عرشه كما يشاء فغلبتها عيناها فنامت فلم تستيقظ إلا على قول صفوان بن المعطل إنا لله وإنا إليه راجعون زوجة رسول الله ﷺ وكان صفوان قد عرس في أخريات الجيش لأنه كان كثير النوم فلما رآها عرفها فاسترجع وأناخ راحلته فقربها إليها فركبتها وما كلمها كلمة واحدة ولم تسمع منه إلا استرجاعه ثم سار بها يقودها حتى قدم بها وقد نزل الجيش في نحر الظهيرة[١٢٣]

لم تسترح نفوس المنافقين الذين رأوا انتصارات الإسلام تتوسع يوما بعد يوم ووجدوا أن مكانتهم بدأت تنحصر وتتلاشى فأرادوا

---

[١٢٣] الرحيق المختوم ص ٣٣١

بزعمهم أن يوجهوا ضربة قاسية إلى النبي ﷺ فرموا السيدة عائشة رضى الله عنها بالبهتان العظيم وكان عبد الله بن أبي سلول قد تولد النفاق والحسد في قلبه من أول يوم سمع فيه بالإسلام وطفق يكيد للنبي ﷺ وللإسلام المكيدة تلو الأخرى ولكن حكمة الله سبحانه وتعالى كانت له وللمنافقين بالمرصاد فكانت تلجمهم وتكبتهم وكان لحديث الإفك واقع أليم على قلب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ومرت عليها وعلى البيت النبوي الطاهر والبيت البكري الصادق أوقات قاسية حرجة امتدت إلى شهر من الزمن حتى نزل القرآن الكريم بالبراءة للعفيفة الصِدِيقةُ بنت الصديقْ وتحمل هذه البراءة شهادة مباركة للمؤمن صفوان بن المعطل الذي رُمِيَّ بالحديث الآثم لقد أشاع الإفك وتولى كبره الخبث الفاجر زعيم المنافقين عبد الله ابن سلول وكانت فتنة عمياء كادت تصيب المجتمع المسلم بهزة أليمة روجها المنافقون والذين في قلوبهم مرض .

وإن المتأمل في تلك الحادثة يجد أن الله تعالى أراد أن يجعل تلك الحادثة درسا بليغا فيه التأديب وفيه النكال للنفاق والمنافقين المرجفين في المدينة .كما جعل الله من هذه الحادثة كرامة عظيمة ليرفع من شأن السيدة الطاهرة العفيفة عائشة الصديقة بنت الصديق رضوان الله عليهما وأن يطهر مكانتها في أهل البيت الذي أذهب عنه الرجس وطهره تطهيرا.

مع الطاهرة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها قدمنا إلى المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعى أن لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أراه منه حين اشتكي إنما يدخل علي رسول الله ﷺ ثم يقول "كيف تيكم " ثم ينصرف... كيف تيكم ؟كلمة خالية من دفئ الحب الذي تعهدته السيدة عائشة رضى الله عنها وخالية من حرارة الشوق التي كانت تفعم قلبها الطاهر بالسرور من رسول الله ﷺ ماذا جرى .يا لها من مصيبة . الأيام تمر والرسول الكريم ﷺ لا يزيد على قوله وسؤاله "كيف تيكم "ولكن لابد لسحابة الحزن القاتمة هذه أن تنجلي ولابد لقيد المنافقين أن تكسره الحقيقة .

كانت عائشة رضى الله عنها لا تدري عن أمر الإفك شيئا بيد أنها لاحظت الأجواء حولها بعد عودتها من غزوة بني المصطلق فذهبت إلى بيت أبيها فلما خرجت إلى الخلاء أخبرتها أم مسطح ابن أثاثة بن عباد القريش المطلبي بقول أهل الإفك فكاد يغمى عليها وبكت ليلتين ويوما ولم تنم حتى كاد البكاء يفتت كبدها تكمل السيدة عائشة رضى الله عنها حديثها فتقول بينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ فسلم ثم جلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقدلبث شهرا لا يوحى إليه من شأني فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة

فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه .

الله أكبر ما أعظم هذا الكلام ! ولكن ...

عسى الكرب الذي أمسيت فيه ✿ يكون وراءه فرج قريب

لقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها تصغي بكل جارحة لكلام المصطفى ﷺ والدموع تسيل من عينيها وحينما انتهى النبي ﷺ من حديثه خيم الصمت على المجلس تقول السيدة عائشة رضى الله عنها فقلت لأبي أجب رسول الله ﷺ فيما قال فقال والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ فقالت لأمها أجيبي رسول الله ﷺ فقالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ تقول السيدة عائشة رضى الله عنها فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم أني بريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف تقصد يعقوب عليه السلام "فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ".

لقد آن للحق أن يظهر فما أتمت السيدة عائشة كلامها إلا وأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات قال الله تعالى:﴿ **وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ(١٠)إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ**

مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١١)لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَـذَا إِفْكٌ مُبِينٌ(١٢)لَوْلاَ جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ(١٣) وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٤)إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ(١٥)وَلَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ(١٦)يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧)وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ(١٩)وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ(٢٠)﴾ [١٢٤]

هكذا كانت الشهادة الربانية للسيدة عائشة تنزيهاً لساحتها وإعزازا للنبي الكريم وتكريما لآل أبي بكر الذين بلغت منهم المحنة ما بلغت وهكذا أكرم الله المؤمنين بفضله ورد كيد المنافقين في نحورهم فخاب سعي ابن سلول تقول السيدة عائشة رضى الله عنها فلما سرى عن رسول الله ﷺ سرى عنه وهو يضحك فكانت أول كلمة

---

[١٢٤] سورة النور الآيات من ١٠-٢٠

تكلم بها يا عائشة أما الله عز وجل فقد برأك فقالت أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله عز وجل [١٢٥]

وجلد من أهل الإفك مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش جلدوا ثمانين جلدة ولم يجلد الخبيث عبد الله بن سلول مع أنه رأس أهل الإفك والذي تولى كبره إما لأن الحدود تخفيف لأهلها وقد وعده الله بالعذاب العظيم في الآخرة وإما للمصلحة التي ترك لأجلها قتله[١٢٦]

---

[١٢٥] الحديث كاملاً في صحيح البخاري ج٦ ص ١٢٧ ، ١٢٨

[١٢٦] الرحيق المختوم ص ٣٣٢

صلح الحديبية

في السنة السادسة للهجرة ٦٢٧م

لقد اشتاق المسلمون إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة فلما أخذ الإسلام يزدهر وأخذت طلائع الفتح الأعظم ونجاح الدعوة الإسلامية تبدو شيئا فشيئا بدأت التمهيدات لإقرار حق المسلمين في أداء عبادتهم في المسجد الحرام الذين منعوا منه منذ ستة أعوام فلقد آن لهم أن يدخلوا مكة المكرمة لأداء ما كلفوا به من العبادة (فأرى رسول الله ﷺ في المنام وهو بالمدينة أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام وأخذ مفتاح الكعبة وطافوا واعتمروا وحلق بعضهم وقصر بعضهم فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم دخلوا مكة عامهم ذلك وأخبر أصحابه أنه معتمر فتجهزوا للسفر).[١٢٧]

خرج رسول الله ﷺ معتمرا لا يريد حربا واستعمل على المدينة نميلة الليثي وخرج معه المسلمون خشية أن تتعرض له قريش بحرب أو أن تصده عن بيت الله وساق النبي ﷺ الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه وليعلموا أنه خرج زائرا لهذا البيت ومعظما له .

وبعث النبي عينا له من خزاعة يخبره عن قريش حتى إذا كان قريبا من عسفان أتاه عينه فقال يا رسول الله إني تركت كعب بن

---

[١٢٧] الرحيق المختوم ص ٣٣٧

لؤي قد جمع لك الأحابيش وخرجوا لحربك وقد نزلوا بذي طـــوى يعاهدون الله ألا تدخل مكة عليهم أبدا.

مشاورة النبي أصحابه

استشار النبي ﷺ أصحابه وقال " أترون نميل إلى ذراري هـــؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فإن قعدوا موتورين مخزونيـــن وإن نجـــوا يكن عنق قطعها الله. أم تريدون أن نؤم هذا البيت فمن صدنا عنـــه قاتلناه ؟ فقال أبو بكر الله ورسوله أعلم إنما جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلنـــاه فقـــال النبـــي ﷺ فرحوا فراحوا ".[١٢٨]

تجمع قريش لصد المسلمين عن البيت الحرام:

تجمعت قريش تحت قيادة خالد بن الوليد وقدموا بخيلهم إلى كـــراع الغنيم فقال رسول الله ﷺ يا ويح قريش لقد أكلتـــهم الحـــرب مـــاذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان ذلـــك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافريـــن وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة[١٢٩]

---

[١٢٨] نفس المرجع ص ٣٣٨

[١٢٩] سيرة خاتم المرسلين محمد عبد المنعم خفاجي ص ٣١٤

طريق آخر غير طريق قريش :

سلك النبي ﷺ طريقا آخر غير طريق قريش وكان طريقا وعرا بين شعاب قاد المسلمين فيه رجل من أسلم وسلك بهم ذات اليمين بين ظهري الحمش في طريق على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة وترك الطريق الرئيسي الذي يقضي إلى الحرم عن طريقه رجع بفرسانه رابضين إلى قريش فأخبروهم بذلك .

وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بثنية المرار التي يهبط عليهم منها بركت راحلته فقالوا خلأت القصواء ... خلأ القصواء فقال: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت به فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء وشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوها فيه فما زال يجيش لهم بالري صدروا عنه .

وفود قريش

الوفد الأول

أرسلت قريش وفدا إلى رسول الله ﷺ على رأسه بديل بن ورقـــاء الخزاعي مع رجال من خزاعة فكلموا رسول الله وسألوه ما الـــذي جاء به ؟ فأخبرهم رسول الله ﷺ أنه لم يأت يريد حربا وإنما جـــاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته .

فرجعوا إلى قريش فقالوا "يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمـد إن محمدا لم يأت لقتال وإنما جاء زائرا لهذا البيت ويقول إن قريشاً قد أنهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم ويخلـــوا بينـــي وبين الناس وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلـــوا وإلا فقد جمعوا وإن أبوا إلا قتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمـري حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره .

فقال عروة بن مسعود الثقفي إن هذا قد عرض عليكم خطة رشـــد فأقبلوها ودعوني آته فقالوا ائته وجاء عروة بـــن مســـعود الثقفـــي فكلمهم رسول الله ﷺ فما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منـهم فدلك بها جلده ووجهه وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كـــادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يجـــدون إليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه وقال أي قـــوم والله لقد وفدت على ملوك كسرى وقيصر والنجاشي والله ما رأيت ملكـــا

يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا ووصف لهم مـا رآه وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها[١٣١]

الوفد الثاني

بعثت قريش وفدا ثانيا فيه مكرز بن حفص فلما انتهى إلى رسـول الله ﷺ وكلمه قال له الرسول ﷺ نحوا لما قـال لبديـل وأصحابـه فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ .

الوفد الثالث

بعثت قريش وفدا ثالثا فيه الحبيس بن علقمة سيد الأحـابيش فلمـا رأى الَهديْ رجع إلى قريش دون أن يصـل إلـى رسـول الله ﷺ إعظاما لما رأى وقال لقريش "يا معشر قريش والله ما علـى هـذا حالفناكم ولا هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له " .

---

[١٣١] زاد المعاد ج ١ ص ٣٨٢

وفود الرسول ﷺ

الوفد الأول

بعث رسول الله ﷺ وفدا إلى قريش فيه خراش بن أمية الخزاعي وحمله الرسول على بعير له ليبلغ أشرافهم عما جاء له فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ .

الوفد الثاني

ثم بعث رسول الله ﷺ وفدا ثانياً فيه عثمان بن عفان ليخبر قريشا أن رسول الله ﷺ لم يأت لحرب وأنه جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته .

انطلق عثمان بن عفان حتى جاء مكة وأتى سفيان وعظماء قريش وبلغهم عن رسول الله ما أرسلوا به فقالوا حين فرغ من رسالته إليهم إن شئت أن تطوف البيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ .

وقال عثمان حين رجع وقال له المسلمون أشفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت ؟ فقال بئس ما ظننتم بي والذي نفسي بيده لو مكثت بها سنة ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف رسول الله ﷺ ولقد دعتني قريش إلى الطواف فأبيت .

وكانت قريش قد احتبست عثمان بن عفان عندها فبلغ رسـول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل .

بيعة الرضوان

لما بلغ رسول الله ﷺ أن عثمان بن عفان قد قتل عند ئذ قال رسول الله ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ثم دعا أصحابه إلى بيعة فثـاروا إليه يبايعونه على أن لا يفروا وبايعته جماعة على الموت وأول من بايعه أبو سنان الأسدي وبايعه سلمة بن الأكوع على الموت ثـلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم وأخذ رسـول الله ﷺ بيـد نفسه وقال هذه عن عثمان وتمت البيعة تحت الشجرة ولم يتخلـف أحد من المسلمين عن البيعة ورضى الله عنهم جميعا وأنـزل فـي حقهم هذه الآيات ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا(١٨)**﴾[١٣٢]

عقد الصلح وبنوده :

بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ ليصالحه علـى أن يرجع عنهم عامه هذا فأتاه سهيل فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلا قـال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فجاء سهيل فتكلم طويـلاً ثم اتفقا على عقد الصلح الذي كانت بنوده كما يلي :

---

[١٣٢] سورة الفتح الآية رقم ١٨

١-الرسول ﷺ يرجع عن عامه هذا فلا يدخل مكة. وإذا كان العام المقبل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا معهم سلاح الراكب السيوف في القرب ولا تتعرض قريش لهم بأي نوع من أنوع التعرض .

٢- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض .

٣- من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءا من ذلك الفريق .

٤- من أتى محمدا من قريش من غير إذن وليه أي هاربا منهم رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد أي هاربا منه لم يرد عليه .

دعوة على بن أبي طالب لكتابة العقد

دعا رسول الله ﷺ عليا ليكتب فأملى عليه بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله لا ندري ما هو ؟ ولكن أكتب اللهم فأمر النبي ﷺ عليا بذلك ثم أملى هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل :لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن أكتب محمد بن عبد الله فقال : إني رسول الله وإن كذبتموني وأمر عليا أن يكتب محمد بن عبد الله ويمحو لفظ رسول الله فأبى علي أن يمحو هذا اللفظ فمحاه ﷺ بنفسه وبينما هم يكتبون

العقد إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين فقال سهيل هذا أول ما أقاضيك عليه على أن ترده فقال النبي ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد .فقال فوالله إذا لا أقاضيك على شيء أبدا فقال النبي ﷺ فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلي فافعل قال ما أنا بفاعل وقد ضرب سهيل أبا جندل في وجهه وأخذ بتلابيبه وجره ليرده إلى المشركين وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟فقال رسول الله ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله فلا نغدر بهم فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب ويدني قائم السيف منه يقول عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية .

فلما رأي المسلمون ما رأوه من الصلح والرجوع وما تحمل عليه رسول الله ﷺ نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون ووقع ذلك من نفوسهم كل موقع حتى جاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر رضى الله عنهما فقال ألم يكن رسول الله ﷺ يحدثنا أنا

سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال بلي أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قال لا قال فإنك آتيه ومطوف به فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح قام إلى هديه ونحره ثم جلس فحلق رأسه وعظم ذلك على المسلمين لأنهم خرجوا وهم لا يشكون في دخول مكة والعمرة ولكن لما رأوا رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون ثم رجع الرسول ﷺ إلى المدينة وفي مرجعه أنزل الله تعالى :﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا(١)لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا(٢)وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا(٣)**﴾ [١٣٣] قال عمر بن الخطاب أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال نعم[١٣٤]

وإن المتأمل في صلح الحديبية يجد أن الصلح قد تحول إلى فتح ونصر للمسلمين ولقد كان بمثابة فتح باب جديد لانتصار الإسلام وانتشاره في جزيرة العرب بسرعة لم تسبق وكان باباً إلى فتح مكة ودعوة ملوك العالم كقيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي وأمراء العرب وصدق الله العظيم حيث قال :﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ(٢١٦)**﴾ [١٣٥]

---

[١٣٣] سورة الفتح الآيات ١،٢،٣

[١٣٤] راجع صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير صلح الحديبية .

[١٣٥] سورة البقرة الآية رقم ٢١٦

كما اعترفت قريش بمكانة المسلمين وتسليمهم لهم كفريق قوى كريم تبرم معه المعاهدات . كما أتاح هذا الصلح الفرصة للمسلمين والمشركين على السواء لأن يختلطوا بعضهم ببعض فيطلع المشركون على محاسن الإسلام وبدأت نظرة القبائل العربية التي لم تدخل في الإسلام تتغير مما أدى إلى إسلام خالد بن الوليد الذي كان قائد الفرسان لقريش وبطل معارك عظيمة وقد سماه رسول الله ﷺ سيف الله وإسلام عمرو بن العاص أحد كبار القادة والأمراء وفاتح مصر كما هاجرت إلى رسول الله أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله ﷺ يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذي بينه وبينهم في الحديبية فلم يفعل أبي الله ذلك قال الله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنفَقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ(١٠)** ﴾ [١٣٦]

وأمر رسول الله ﷺ برد مهورهن إلى أزواجهن في مكة فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال وتوفيت أم كلثوم في خلافة علي رضى الله عنه .

---

[١٣٦] سورة الممتحنة الآية رقم ١٠